

الإشعاع العلمي لعلماء المغرب الأوسط في بلاد المشرق الإسلامي -ابن معطي الزواوي نموذجاً-

د.عبد الكريم شباب⁽¹⁾

مند أواسط القرن الخامس الهجري /الحادي عشر ميلادي وحتى نهاية فترة العصور الوسطي، ظهر نزوع واضح لدى المغاربة - خاصة الشغوفين منمبالعلم - إلى ترك بلادهم والتوجه إلى بلاد المشرق، خاصة الحجاز والشام ومصر. وكانت عوامل الهجرة متعددة، علمية، سياسية، اقتصادية، دينية ونفسية.

كان عدد العلماء وطلاب العلم من بلاد المغرب الأوسط لافتاً، وسجلت كتب التاريخ والرحلات والتراجم الاحترام والتقدير والإعجاب الكبير الذي حظوا به في بلاد المشرق على المستويين الشعبي والرسمي، وهذا لمساهماتهم البارزة والفعالة في الحياة العلمية والأدبية، ومن هؤلاء الذين سطع نجمهم، العالم اللغوي ابن معطي الزواوي. وعليه تحاول هذه الورقة إبراز مظاهر التفوق العلمي لهذا العالم في بلاد المشرق وتأثيراته المختلفة.

التعريف بابن معطي الزواوي وظروف نشأته: هو يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي⁽²⁾، المغربي الحنفي النحوي، المولود سنة 564 هـ / 1168 - 1169 م، حسب العديد من المصادر التي ترجمت له، ولم يعين من ترجم له البلدة التي ولد بها، ولكن

(1)كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة سعيدة

(2) زواوة، قبيلة بربرية كبيرة بالمغرب الأوسط، ويشير صاحب كتاب "مفاخر البربر" أ.إسمزواوة، وهوتخفيف للإسم البربري زواو بن سمحان بن يحيى، الذي أخذت منه إسم القبيلة "زواوة" وينسبون - حسب ابن خلدون - إلى البربر البرانس ومواطنها بنواحي بجاية ما بين مواطن كناسة وصنهاجة، ينظر: كاتب مجهول: مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوياية، دار أبي الرقراق، الرباط، الطبعة الأولى، 2005، ص 167 وعبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ص 152 وما بعدها، ومفتاح خلفات: قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6-9 هـ / 12-15 م)، دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل، الجزائر، [ب.ت.]، ص 51 وبوزياني السراجي، القبائل الأمازيغية، أدوارها، مواطنها، وأعيانها ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص 225. 226. 227.

يمكن القول، أنه قد ولد بظاهر بجاية حيث كانت تسكن قبيلته. ويدعم هذا الرأي ويقويه، أنه قد تتلمذ على العالم الجزولي، الذي أقام بمدينة بجاية حيث عمل هناك، والتف الناس حوله يهلون علمه⁽¹⁾.

أما ابن معطي في صباه، فلم يذكر عنه شيء، إذ أغفله المؤرخون، وكأنهم نسوه أو تناسوه، فلم يفتنوا إليه إلا بعد أن أظهر براعته وعلمه، فقد شارك في العديد من العلوم من تأليف وتصنيف وشرح، حيث لفت الأنظار إليه، واهتم الناس به، وأصبحوا يتابعون أخباره.

وإذا ألقينا نظرة على المكتبة العلمية التي تركها تعطينا صورة عن هذا العالم الذي كرس صباه على العلم والتعليم، وكفاه فخراً أنه ألف ألفيته المشهورة، وهو لم يتجاوز بعد الحادية والثلاثين من عمره، وهذه السن المبكرة أوصلته إلى فهم علوم النحو وإتقانها والتأليف فيها شعراً⁽²⁾.

وجاء إلى دمشق، حيث الدولة الأيوبية التي اهتمت بالأدب والأدباء اهتمامها بإعداد الجيوش والدفاع عن أرض الإسلام والمسلمين. جاء ابن معطي إلى هذا الجو الجديد، حيث يعيش الناس أحلى لحظات العمر بانتصارات صلاح الدين الأيوبي، وسحقه للصليبيين الغزاة، الذي غير وجه التاريخ في المنطقة بانتصاراته، ومكن لنشاط فكري ظهرت نتائجه، بما أنتجت من كتب ونفائس قيمة، أثرت بها المكتبة العربية في كل فن⁽³⁾.

وقد نشأ ابن معطي في عصر أنجب علماء كثر في تخصصه منهم:

عبد الله بن بري المصري النحوي اللغوي المتوفى سنة 599هـ / 1202م⁽⁴⁾، وأبو اليمن الكندي، الإمام تاج الدين النحوي اللغوي المقرئ المحدث الحافظ، المتوفى سنة 613هـ

(1) ابن خلكان شمس الدين: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج6، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، [ب.ت.]، ص 197 والسيوطي جلال الدين: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج2، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، [ب.ت.] ص 344.

(2) عبد العزيز بن جمعة الموصلي: شرح ألفية ابن معطي، ج1، تحقيق ودراسة علي موسى الشوملي، دار البصائر، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007، ص 12.11.

(3) عبد العزيز بن جمعة الموصلي: المصدر السابق، ص 12.11.

(4) السيوطي: المصدر السابق، ج2، ص 34.

1216/م⁽¹⁾، وابن الرماح علي بن عبد الصمد النحوي المقرئ المتوفى سنة 633هـ / 1235 م⁽²⁾، وابن الخباز علي الشيخ شمس الدين الإربلي الموصلبي النحوي الضرير المتوفى سنة 637 هـ / 1239 م⁽³⁾، والسخاوي أبو الحسن علي بن محمد، كان إماما في النحو واللغة والتفسير، المتوفى سنة 643 هـ / 1245 م⁽⁴⁾، وابن الحاجب جمال الدين أبو عمرو صاحب الكافية في النحو، المتوفى سنة 646 هـ / 1248 م⁽⁵⁾.

إشعاعه العلمي في بلاد المشرق:

رحلات العلماء في الغالب تكون لسبيين، إما طلبا للرزق وإيجاد لقمة العيش، وإما طلبا للعلم، ويبدو أن رحلات ابن معطي هنا من النوع الأول، إذ لو كان طلبا للعلم، فهو متوفر في بلده، حيث أتقن علوم عصره حتى وصل إلى رتبة عالية، فأصبح عالما مبدعا، وجو علمي كهذا لا يتركه إلى سواه، خاصة وأنه عندما وصل إلى دمشق جلس للتعليم حيث التف حوله الطلاب ينهلون من علمه، يدرسه الأدب والنحو وعلوم اللغة⁽⁶⁾. وهناك شاهد آخر يقوي سعيه للرحلة من أجل تحسين وضعه المادي والاجتماعي، وهو أبياته الشعرية التي تصور أعماق نفسه وحقيقته كما يراها هو، حيث قال بعد أن منح لقب زين الدين: من البسيط-

قالوا تلقب زين الدين فهو له نعت جميل به قد زين الأمانة

فقلت لا تعذلوه إن ذا لقب وقف على كل بخس والدليل أنا⁽⁷⁾.

إنسان يعيش في راحة وسعادة، ويجد لقمة العيش، لا يقول مثل هذه أبيات، وما أظنه قائلا: إن لقمة خبز يسد بها رمقه أفضل من ألقاب الدنيا قاطبة. هذا الجو من ضيق ذات اليد، جعله يغادر بلده طلبا لحياة أفضل، وجاء إلى دمشق، واستقبله سلطانها

(1) المصدر نفسه: ج2، ص 570.

(2) المصدر نفسه: ج2، ص 175.

(3) المصدر نفسه: ج1، ص 304.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص 192.

(5) المصدر نفسه: ج2، ص 134.

(6) ابن خلكان: المصدر السابق، ج6، ص 197.

(7) السيوطي: المصدر السابق، ج2، ص 344.

استقبال عالم لعالم، فقد كان الملك عيسى بن محمد الأيوبي المتوفى عام 624 هـ/1227 م، سلطان الشام عالماً من العلماء، محباً للعلم مكرماً للعلماء، عالماً بالفقه الحنفي ويعلم اللغة العربية، حيث عرف قدره ووضعها في مكانه المناسب، وأكرم وفادته وأبعد عنه غائلة الجوع والعوز، فولاه النظر في مصالح المساجد، فاستراحت نفسه، وجلس في المساجد يقرأ الناس الأدب واللغة، ثم توفي الملك المعظم عيسى، فتولى الملك الكامل الحكم في ذات السنة التي توفي فيها الملك عيسى، فاتصل ابن معطي بالملك الكامل، وكان هذا الملك كسابقه محباً للعلم وللأدب وللأدباء⁽¹⁾.

ومما يروى عن الملك الكامل الأيوبي، أن حضر مجلسه جماعة من العلماء في دمشق، فسألهم الملك الكامل وكان عالماً، قال: زيد ذهب به، فهل يجوز في زيد النصب؟ فقالوا لا.

فقال ابن معطي: يجوز النصب على أن يكون المرتفع بـ "ذهب" وهو الذهب، وعلى هذا فموضوع الجار والمجرور الذي هو "به" النصب في يحيى من باب زيد مرتب به، إذ يجوز في زيد النصب فكذلك ها هنا، فاستحسن الملك الكامل جوابه وطلب منه السفر معه إلى مصر، فسافر، ولم يحدد المؤرخون له وقت سفره إلى القاهرة، ولكنه على الأرجح بعد سنة 624 هـ / 1227 م بقليل. وقرر له الملك راتباً على أن يقرأ الناس الأدب بالجامع العتيق بمصر، وهو جامع عمرو بن العاص، وبدأ ابن معطي بعمله، حيث جلس لتدريس الأدب والنحو، ولكن القدر عاجله، ولم يممه طويلاً⁽²⁾.

تفاعل المشاركة مع ثرائه الفكري:

تفيدنا المصادر التي ترجمت لابن معطي، أن الرجل ترك إنتاجاً غزيراً في علم النحو والشعر، ويكفيه فخراً أنه أول من قدم إطاراً متكاملًا في علم النحو في إطار منظوم عرف بالألفية. وعلى العموم فإن هذا الإنتاج يكشف عن أصالة فكره وعمق رؤاه وجرأته في طرح أفكاره التي يعتقد أنها صحيحة وتصمد أمام النقد، لقيامها على مرتكزات عقلية سليمة، وقد ذكر المؤرخون المؤلفات التالية:

(1) عبد العزيز بن جمعة الموصلي: المصدر السابق، ج 1، ص 15

(2) المصدر نفسه: ص 16.

الألفية في النحو⁽¹⁾، أتمها سنة 595هـ/1198-1199 م، وهي أشهر ما ألف ابن معطي، ونظرا لعبقريته المتميزة التي أبان عنها في الألفية، فقد لاقته اهتماما كبيرا من الدارسين في المشرق والمغرب، وشكلت مادة أساسية في حلقات دروس النحو في المدارس والمعاهد والجامعات الكبرى التي كان يعطي بها الدروس والشروح المختلفة.

كما اهتم بها الباحثون من ناحية الشروح التي وضعت عليها، خاصة في المشرق عامة، وبلاد الشام خاصة، كشرح محمد بن يعقوب الدمشقي، المتوفى سنة 718هـ/1318 م، وشرح شمس الدين أحمد بن الحسين بن الخباز الأربلي المتوفى سنة 637هـ/1239 سماه "الغرة المخفية في شرح الدرّة الألفية"، وشرح الشيخ زين الدين عمر بن مظهر بن الوردی المتوفى سنة 749هـ/1348 م وسماه "ضوء الدرر"، وشرح عبد المطلب ابن المرتضى الجزري، المتوفى سنة 735هـ/1334 م، وشرح الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود الحنفي، ألفه في شهرين، سنة 741هـ/1340 م سماه "الصدفة الملية بالدرّة الألفية"، وشرح الشيخ محمد بن جابر الأعشى، المتوفى سنة 780هـ/1378 م في ثماني مجلدات، وشرح شهاب الدين أحمد بن محمد القدسي الحنبلي، المتوفى سنة 728هـ/1327-1328 م، وشرح أبي عبد الله محمد بن الناس الحموي، وشرح عبد العزيز بن جمعة بن زيد النحوي، المعروف بالقواص الموصلي⁽²⁾.

ويعتبر ابن معطي الرائد في استعمال لفظ "الألفية" في أشعاره، فقد أطلق على ألفيته هذه التسمية حيث قال:

نحوية أشعارهم المروية هذا تمام الدرّة الألفية

تبعه بعد ذلك ابن مالك حيث قال:

وتقتفي رضا بغير سخط فائقة ألفية ابن معط

(1) ابن خلكان: ج6، ص 197 والسيوطي، البيهقي، ج2، ص 344.

(2) حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1، دار الفكر، بيروت، 1419 هـ/1999 م، ص

وتبعه بعد ذلك الناس، فقد استعملها أيضا زين الدين أبو التقي شعبان محمد بن داود بن علي المصري، المتوفى سنة 828هـ / 1424م، حيث ألف ألفية في النحو سماها "كفاية الغلام في إعراب الكلام"⁽¹⁾.

وإلى جانب تفرد ابن معطي بالتسمية بالألفية وسبق غيره وتقليدهم له، فقد تفرد بشيء آخر، حيث اعتاد الناس أن ينظم الشاعر قصيدته أو أرجوزته على بحر واحد، إلا أن ابن معطي قد خرج على هذه القاعدة، ونظم ألفية على بحرين، هما الرجز والسريع. ومع أن عددا من المشتغلين بالنحو والأدب قد أثنوا على مقدرة ابن المعطي الفنية في توفيقه بين البحرين الرجز والسريع، واعتبروه دليلا على مقدرة الفني العالية، حيث أن التقارب كبير جدا بين الرجز والسريع، حتى لا يميزه إلا من أوتي أذنا موسيقية مرهفة، إلا أن نظمه على هذه الطريقة كان من العقبان التي أثرت على انتشار واشتهار ألفية ابن معطي. فالبحر السريع من أثقل البحور الشعرية، لما يدخله من زخافات وعلل. ولا يعرف سبب مقنع لابن معطي، لنظمه قصيدة على بحرین مختلفين⁽²⁾.

وألف ابن معطي كتاب "حواش على أصول ابن السراج"⁽³⁾ في النحو⁽⁴⁾، وكتاب "الفصول في النحو أيضا"⁽⁵⁾، وهو كتاب تعليمي، قال فيه ابن معطي في مقدمته: "أما بعد: فإن غرض المبتدئ الراغب في علم الإعراب حصرت في خمسين فصلا، تشتمل على خمسة أبواب"، وقد شرح كتاب الفصول أكثر من شارح، ومنهم ابن إياز الذي اعتبره رغم

(1) عبد العزيز جمعة الموصلي: المصدر السابق، ص 60.

(2) المصدر نفسه، ص 61.

(3) أصول ابن السراج في النحو، للشيخ أبي بكر محمد بن السري النحوي المتوفى سنة 361هـ / 972م، وهو كتاب مرجوع إليه عند اضطراب النقل واختلاف الأقوال، ويبدو فضل ابن السراج عاليا في الأصول والأحكام العامة التي استخلصها من المسائل النحوية، وقد أطلق عليه مخترع علم أصول النحو، و"الكتاب موجز خال من الاستطراد، تجتمع موضوعاته المتشابهة محصورة في بابواحد لا في أبواب متفرقة"، كما يبدو الحال في كتاب سيبويه، مع دقة الأقسام، ينظر حاجي خليفة: كشف الظنون، ج 1، ص 144، ومحمد حسن عبد العزيز: مصادر البحث اللغوي في الأصوات والصرف والنحو والمعجم وفقه اللغة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1430 هـ / 2009م، ص 154، 155.

(4) السيوطي: المصدر السابق، ج 2 ص 344.

(5) ابن خلكان: المصدر السابق، ج 6، 197.

اختصاره كثير المسائل، عسيرا على المتناول، مشتمل على المباحث الغربية، والنكت العجيبة، والاحترازاات اللطيفة، والمقاصد الحسنة الشريفة⁽¹⁾
شرح أبيات سيبويه، وهي نظم⁽²⁾.

شرح المقدمة الجزولية⁽³⁾، وهي مقدمة لشيخه الجزولي في علم النحو، وأصلها، حواش على جمل الزجاجي، علقها أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي، ثم أفردها في كتاب، فكانت عسيرة المنال لا يفهمها إلا كبار العلماء، وقد قام ابن معطي بشرحها، وقد نقل هذا الشرح السيوطي في كتابه: الأشباه والنظائر⁽⁴⁾.

نظم كتاب الصحاح في اللغة للجوهري، ولم يكمله بسبب وفاته، ونظم كتاب الجمهرة في اللغة لابن دريد، وقصيدة في العروض، وقصيدة في القراءات السبع⁽⁵⁾.

البيديع في صناعة الشعر، وهو مخطوط يحمل اسم "البيديع في علم البيديع"، وتقع في تسع ورقات، وهي عبارة عن قصيدة مختلفة الأوزان، تبحث في علم البيديع، ومن أمثلة ذلك:

يقول ابن معطي في الجناس:

ومن الجناس توافق اللفظين لا المعنى كقول حبيب المتناهي

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيى لدي يحيى بن عبد الله⁽⁶⁾

هذا وجدير بالتذكير، أن العديد من العلماء عكفوا على شرح كتاب الفصول لابن معطي، وهم:

(1) عبد العزيز بن جمعة الموصلي: المصدر السابق، ج 1، ص 28.

(2) السيوطي: المصدر السابق، ص 344.

(3) المصدر نفسه: نفس الصفحة.

(4) عبد العزيز بن جمعة الموصلي: المصدر السابق، ج 1، ص 28.

(5) ياقوت الحموي: معجم الأدياء، المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج 4، حققه عمر فاروق الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى، 1420 هـ/1999 م، ص 260، وعادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض، الطبعة الثالثة، بيروت، 1403 هـ/1983 م، ص 167.

(6) عبد العزيز بن جمعة الموصلي: المصدر السابق، ص 26، 27.

العلامة جمال الدين الحسين بن بدر بن إياز بن عبد الله، المتوفى سنة 681هـ / 1282م⁽¹⁾.

محمد بن أحمد بن الجليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى، قاضي القضاة، المتوفى سنة 693هـ / 1294م⁽²⁾.

إبراهيم بن موسى بن بلال الكركي الشافعي، المتوفى سنة 853هـ / 1449م⁽³⁾.
وغني عن البيان، أن ابن معطي مارس مهنة تدريس النحو لسنتين طويلة، ولم يسلك في تدريسه الأسلوب السائد في عصره، بأن كان له تلاميذ يلازمونه ويرعاهم، وكأنني بأسلوبه في التدريس في دمشق وفيما بعد بجامع عمرو بن العاص في القاهرة، يشابه إلى حد ما أسلوب المحاضرات في وقتنا الحاضر، حيث كان يأتي لمكانه المعروف بالجامع، ثم يبدأ محاضراته على جمع غفير من الناس، يتفرقون بعدها على أمل اللقاء في المحاضرة أو الدرس التالي وهكذا، ولذا لم يذكر المؤرخون لحياته سوى عدد قليل من التلاميذ الذين تخصصوا في أخذ العلم عنه وهم:

- أبو بكر بن عمر بن علي بن سالم الإمام رضي الدين القسنطيني النحوي الشافعي، المولود سنة 607هـ / 1210م، ونشأ بالقدس، وأخذ العربية عن ابن معطي وابن الحاجب، وكان من كبار أئمة العربية. سمع الحديث من ابن عوف الزهري وجماعة من العلماء المبرزين، وكان له معرفة تامة بالفقه ومشاركة في الحديث، وحسب رواية السيوطي، فإن القسنطيني النحوي، كان إنسانا صالحا خيرا دينا متواضعا ساكنا ناسكا، وأضر بأخر عمره، توفي سنة 695هـ / 1295م⁽⁴⁾.

(1) السيوطي: البغية، ج 1، ص 532.

(2) المصدر نفسه: ص 23.24.

(3) عبد العزيز بن جمعة الموصلي: المصدر السابق، ص 31.

(4) السيوطي: البغية، ج 1، ص 470.

- ابن العطار: وهو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن يوسف الأنصاري الأسكندري الكاتب، ذكر أنه تأدب على ابن معطي، توفي سنة 649هـ /1251⁽¹⁾.

- تاج الدين الصرخدي: هو أبو محمد محمود بن عبيد بن حسين التميمي الصرخدي، الذي منحه ابن معطي إجازة إقراء، ذكرها الدكتور محمود محمد الطناحي بقوله: " هذا وقد رأيت أثناء بعثتي إلى تركيا صورة إجازة إقراء من ابن معطي لأحد العلماء وتدل على علمه وفضله"⁽²⁾.

و يذكر أن ابن مالك سبق أن درس ألفية ابن معطي لطلابه، فاستفاد منها وتأثر بها، ولذلك نرى آثارا، عميقة في ألفيته، فقد قلد ابن مالك، ابن معطي في كثير من تراكيبه وألفاظه وألفاظ ألفيته، فكثيرا ما كان يأخذ البيت أو الشطر، وفي أحيان أخرى يأخذ المعنى ثم يعيد صياغته بأسلوبه الخاص والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منها: يقول ابن معطي في التوايح: القول في توايح الكلم الأول نعت وتوكيد وعطف بدل ويقول ابن مالك:

يتبع في الإعراب الإسم الأول نعت وتوكيد وعطف بدل

وفي باب العطف يقول ابن معطي:

والعطف عطفان بيان ونسق عطف البيان شبه نعت قد سبق

ويقول ابن مالك:

والعطف إما ذو بيان أو نسق والغرض الآن بيان ما سبق⁽³⁾.

إن الدرة الألفية في علم العربية تقدم صورة عن شخصية ابن معطي، العالم المثقف، الذي حذق وأتقن علم النحو العربي، وقدمه للطلاب والمهتمين بصورة سهلة⁽¹⁾، إذ ليس

(1) عبد الرحمان عبان: الشعر التعليمي في الأدب الجزائري القديم على عهد الموحدين، دراسة في موضوعاته وبنائه - ابن معطي نموذجا- مذكرة ماجستير في الأدب العربي، مرقونة، جامعة قاصدي مرباح قسم اللغة العربية وأدائها، إشراف د. العيد جلوي (1427-1428 هـ /2007-2008 م)، ص 82.

(2) المرجع نفسه، ص 82.

(3) المرجع نفسه، ص 77.

من اليسير صياغة القواعد النحوية في أبيات شعرية، ولا تتوفر هذه الموهبة، إلا لمن امتلك موهبة شعرية فائقة ودرجة عالية من العلم، وهذه الدرجة هي التي سمحت له بمنح الاجازات للعلماء⁽²⁾.

ومنظومته مع سهولة ألفاظها، مشحونة بالعلم والتراجم والتعريف بالشعراء، كما هو واضح في الألفية النحوية، ومنظومة "البديع في علم البديع"، بالإضافة إلى جملة الآداب والقيم المتنوعة، أما العلم فقد اشتملتا على مهمات علمي النحو والإعراب والتصريف والبلاغة والبديع، وأما الأدب فتتضمنه أمثلتها من الحكم الجامعة والأحكام النافعة، فالمنظومات تجمع بين علوم متعددة، كالنحو والقرآن، والحديث والأمثال والحكم، والتعريف بالشعراء وإنتاجهم⁽³⁾.

خلاصة

في المحصلة يمكن تسجيل الرأي الذي مفاده أن ابن معطي الزواوي كان من كبار النحويين، حاز شهرة واسعة تضاهي شهرة سيبويه والزجاجي. فقد قدم من خلال مصنفاته المذكورة سابقا، خدمة حقيقية لمدرسة النحو العربي، وذلك بتبسيط قواعده وأسسها. كما يعتبر الرجل، صاحب منهج متقدم سلكه المهتمون بعد وفاته، وواصل تأثيره إلى مستوى دفع كبار المهتمين بشؤون النحو بالانكباب على شرح مؤلفاته واختصارها. كما أنه أبدع في مجال التدريس بدمشق، فالتحق بحلقته الدراسية التي كان يعقدها، جمع غفير من التلاميذ والطلاب. ومن هناك انتقلت أخباره لتصل حاكم مصر، الملك الكامل الأيوبي، فاستدعاه إلى القاهرة لينتفع الناس بعلمه، فغادر دمشق نحو القاهرة، وانتصب للتدريس بالجامع الأزهر حتى وفاته بها سنة 628 هـ/1230 م.

(1) بدر الدين محمد بن محمد بن مالك: شرح على ألفية محمد بن عبد الله، الشهير بابن مالك، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم 3723 (1950 د). الورقة رقم 03.

(2) عبد الرحمن عيان: المرجع السابق: ص 78.

(3): المرجع نفسه: ص 89.